المحاضرة السابعة
التعليم في الجزائر ما قبل الاستيطان الفرنسي

3- الارتحال لطلب العلم :

تعتبر الرحلة من مميزات جهود المسلمين في طلب العلم ، وكان العلماء يحثون الطلبة عليها فكان الطالب يترك بلدته بعد ان يحصل على ما لدى علمائها ، فيتوجه الى مراكز العلم المنتشرة في أنحاء العالم الإسلامي ، ويكابد مشاق السفر وأخطاره ، ولكن هذه المشاق وتلك المخاطر لم تقف حائلا دون تلك الرحلات التي ملأت بطون الكتب ، وكم من عالم ارتحل ، وربما قطع آلاف الأميال ، وكان البعض منهم ينتهز موسم الحج فيسير معهم ، او يعرج على العلماء للتزود منهم وقد بدأ الكثير منهم تلك الرحلات ولم يبلغوا العشرين [1] .

اتسع نطاق انتشار الاسلام في حواضر الجزائر ، مع انتشار العلم والفقه وأسبح الأنتقال إلى مدارس من مدارس القيروان وفاس وتلمسان وغيرها أمرا شائعا ، فكان هذا مما دفع طلبة العلم وعلماء الجزائر للحصول على العلوم من مواطنها وكان طلبة العلم أنشط الناس للرحيل وأصبرهم على العناء ، فكان الحرص على لقاء الشيوخ والعلماء والأساتذة المشهورين هو الغرض الأول من الرحلة ، فلم يكن طالب العلم يكتفي بقراءة مصنفات الاساتذة وحدهم ، وانما كان لابد ان يقرأها عليه ويسمعها منه حتى يعتبر ثقة في مادته وحجة في علمه ، وبذلك كانت الرحلة ضربا من ضروب التحقيق العلمي.

كان بعض الطلاب والعلماء من اهل الجزائر يقومون برحلات الى المراكز العلمية في البلدان الإسلامية مثل فاس والقيروان والقاهرة كما اشرنا الى ذلك سابقا وقد زاد الحكام قيمة إلى مفهوم الرحلة العلمية ، وتكلمت الكتب عن تخصيص أجنحة لطلبة العلم في الأزهر بالقاهرة لاستقبالهم ، فكان في الأزهر تسعة عشر رواقا منها رواق يخص الجزائريين، ومنهم من يسميه رواق المغاربة.

وكانت رحلات الحجيج لأهالي حواضر الجزائر فرصة طلبة العلم والعلماء لزيادة التحصيل حيث ذكرت المصادر التاريخية بالأسم عددا من العلماء الذين ادوا فريضة الحج والتقوا علماء المشرق هناك منهم السيوطي وغيرهم.

هكذا نجد ان الارتحال لطلب العلم كان سمة بارزة في الحياة العلمية في حواضر الجزائر ، فكان طالب العلم والعالم لا يثنيه طول المسافة ، ولا مشقة السفر فالرحلة مدرسة قائمة بذاتها ،

3- الارتحال لطلب العلم :

تعتبر الرحلة من مميزات جهود المسلمين في طلب العلم ، وكان العلماء يحثون الطلبة عليها فكان الطالب يترك بلدته بعد ان يحصل على ما لدى علمائها ، فيتوجه الى مراكز العلم المنتشرة في أنحاء العالم الإسلامي ، ويكابد مشاق السفر وأخطاره ، ولكن هذه المشاق وتلك المخاطر لم تقف حائلا دون تلك الرحلات التي ملأت بطون الكتب ، وكم من عالم ارتحل ، وربما قطع آلاف الأميال ، وكان البعض منهم ينتهز موسم الحج فيسير معهم ، او يعرج على العلماء للتزود منهم وقد بدأ الكثير منهم تلك الرحلات ولم يبلغوا العشرين [1] .

اتسع نطاق انتشار الاسلام في حواضر الجزائر ، مع انتشار العلم والفقه وأسبح الأنتقال إلى مدارس من مدارس القيروان وفاس وتلمسان وغيرها أمرا شائعا ، فكان هذا مما دفع طلبة العلم وعلماء الجزائر للحصول على العلوم من مواطنها وكان طلبة العلم أنشط الناس للرحيل وأصبرهم على العناء ، فكان الحرص على لقاء الشيوخ والعلماء والأساتذة المشهورين هو الغرض الأول من الرحلة ، فلم يكن طالب العلم يكتفي بقراءة مصنفات الاساتذة وحدهم ، وانما كان لابد ان يقرأها عليه ويسمعها منه حتى يعتبر ثقة في مادته وحجة في علمه ، وبذلك كانت الرحلة ضربا من ضروب التحقيق العلمي.

كان بعض الطلاب والعلماء من اهل الجزائر يقومون برحلات الى المراكز العلمية في البلدان الإسلامية مثل فاس والقيروان والقاهرة كما اشرنا الى ذلك سابقا وقد زاد الحكام قيمة إلى مفهوم الرحلة العلمية ، وتكلمت الكتب عن تخصيص أجنحة لطلبة العلم في الأزهر بالقاهرة لاستقبالهم ، فكان في الأزهر تسعة عشر رواقا منها رواق يخص الجزائريين، ومنهم من يسميه رواق المغاربة.

وكانت رحلات الحجيج لأهالي حواضر الجزائر فرصة طلبة العلم والعلماء لزيادة التحصيل حيث ذكرت المصادر التاريخية بالأسم عددا من العلماء الذين ادوا فريضة الحج والتقوا علماء المشرق هناك منهم السيوطي وغيرهم.

هكذا نجد ان الارتحال لطلب العلم كان سمة بارزة في الحياة العلمية في حواضر الجزائر ، فكان طالب العلم والعالم لا يثنيه طول المسافة ، ولا مشقة السفر فالرحلة مدرسة قائمة بذاتها ،

---

[1] . الخطيب البغدادي: تاريخ التعليم عند المسلمين والمكانة الاجتماعية لعلمائهم.تلخيص وترتيب سامي الصقار . ط1. دارا لمريخ .الرياض 1401 – 1981 ، ص 65 .

تعلم الطالب صفات الصبر ، وفن التعامل مع الآخرين ، والقدرة على مواجهة المصائب وحلها ، وكسب العلم كانت الغاية الكبرى.

وبفضل هذه الرحلات استمرت الوحدة الثقافية والتواصل العلمي والحضاري بين الجزائر وباقي الأقطار الإسلامية، وبفضلها أيضا كان استمرار تبادل الأفكار بين سكان الحواضر نفسها ، فقد كانت المسافات بينهما بعيدة .

والرحلة من الناحية العلمية ساهمت في تمكين الدين الاسلامي ، والاستخدام الواسع للغة العربية ، ولقد كان الطلبة يتلقون العلم وهم سائرون في ركاب الرحلة مع الشيوخ كما ان هؤلاء الشيوخ ، من كانوا يعقدون مجالس الدرس للطلبة من اهل الحواضر التي يمرون بها وما الأذكار التي كانت تردد خلال الرحلة الا بيانا على ذلك حقا ان الارتحال يمثل مصدر إعجاب للباحث خاصة إذا درسها بالنسبة للعالم الاسلامي عامة ، مثل رواة الحديث الذين كانوا يقطعون الأميال للتأكد من صحة حديث واحد ، لذلك ندرك ان العلم مسافة طويلة كلما ازداد الباحث المسير كلما ازداد علما وشغفا في نفس الوقت .

4- الإجازات العلمية:

يقصد بالإجازة العلمية إقرار الأساتذة بأهلية الطالب بعد إتمام فترة زمنية يتعلم فيها فنا من الفنون او علما من العلوم ويقع النطق بذلك ، أو يحرر على ورق تدفع للطالب المتخرج ، فيمنح إجازة او تصريحا برواية كتب ، لا تسمى تفصيلا كان يقول له : (إنني أجيز لك ..)[1] .

وكانت هناك شهادات خاصة بحفظ القرآن وأخرى بالحديث ، وهناك شهادات عامة تشمل عدة مواد أو فنون أو مهارات الى جانب العلوم الدينية .

وكان نظام الشهادات معروفا في حواضر الجزائر خاصة في عهد الدولة الزيانية ، إذ كان الأستاذ كلما لمس عند احد طلبته تمكنا كافيا في مادة من المواد التي درسها عنده ، أعطاه إجازة بخط يده.

وهناك شهادات تعطى فردية ، بمعنى أن الطالب يستطيع الحصول على شهادة من الأستاذ ، في المواد التي يتقنها الأستاذ ، ويتعاطى تدريسها ، ولكنه يبقى طالبا في مواد أخرى ، وبناء على هذا فإن الشهادات كانت على شكل انطباع يسجله الأستاذ على مذكرات الطالب في مادة او

---

[1] . فؤاد سيزكين: المرجع السابق، ص 14.

أكثر ، وهنا يراعي الأستاذ مدى الكفاءة التي يكون الطالب قد حصل عليها [1] ، وفي يوم التخرج ، يمنح الطلاب العمائم ، والعمامة ترمز إلى النور الإلهي والحكمة والمعرفة والسلوك الأخلاق العالية .وهي تمثل الخط الفاصل بين المعرفة والجهل، مما يعني أن الطالب ملزم بتبادل المعارف والخبرات مع إخوانه.

وكان العلماء المغاربة يلزمون الطلبة بالحصول على الشهادة ، بحيث يتأجل تخرج الطالب إذا لم يتحقق له النجاح ويعود من جديد للتعلم [2] ، والطالب الناجح هو ذلك المواظب على واجباته الدينية واوقات الدراسة ، والمجتهد في حفظ ما طلب منه وعادة ما يكلف الأستاذ طلبته المتفوقين بالإنابة عليه، أو إلقاء الدروس ثم يصدر شهادته عليه [3] وكان تلك الشهادات تعطى عادة في حفل ، يقيمه اهل الطالب الناجح ، وهذه الشهادة العلمية التي تحصل عليها الطالب تؤهله لان يعمل بإلقاء الخطب ، أو الإمامة ، أو بأن يعمل المتخرج كمساعد للقاضي ، أو نائبا له أو كاتبا في مصلحة حكومية ، أو نسخ الكتب ، أو تعليم القراءة ، وقد تنتهي بالعمل في القضاء وتولي مهامه [4].

---

[1] . عبد الحميد جنيدي : المرجع السابق ، ص 84 .
[2] . محمد عبلة سلطان:المرجع السابق ، ص 175.
[3] . عبد الرحمان السعدي : المصدر السابق،ص 46.
[4] . عبد الحميد جنيدي : نفس المرجع والصفحة.